جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

المنهج التداوليّ في قراءة النصوص الأدبيّة، شعر إبراهيم طوقان أنموذجا

الدكتور
أحمد حسن إسماعيل الحسن
أستاذ علم اللغة والنحو المساعد
قسم اللغة العربية، جامعة الجوف، سكاكا ـ الجوف

العدد الخامس عشر
للعام ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م
الجزء الخامس

الملخص بالعربيّة:

المنهج التداوليّ في قراءة النصوص الأدبية، شعر إبراهيم طوقان أنموذجا

يتناول هذا البحث جانبين: أحدهما تأطير نظريّ تتضح فيه آليات التحليل التداوليّ، ومعطياته كالإشاريّات ومبدأ التعاون، ونظرية أفعال الكلام، والحِجاج، في مقاربة الخطابات بمختلف أنواعها، وثانيهما تطبيقيّ يَفِيد منها في دراسة الخطاب عند إبراهيم طوقان، ليكشف أنّ الخطاب الوطني والسياسي عند طوقان خطاب مباشر في بعضه، وأنّه يحمل في بعضه الآخر مضامين غير مباشرة، يُنبِئُ بعضها – وبخاصة ما كان فيه خرق لمبادئ جرايس– عن تهكم وسخرية مريرة، كما أنبأت الإشاريات، أيضا، عن سخرية وتهكم في سياقات استعمالاتها.

الملخّص بالإنجليزيّة:

Abstract

Reading of Literary Texts through the Pragmatic Methodology Ibrahim Touqan Poetry as a model

This research deals with two aspects: The first is theoretical frame showing the mechanisms of pragmatic analysis and its datum; such as *Deictics, Cooperatives Principle, Speech Act Theory and Argumentum* in all kinds of discourses. The second is applied aspect using in study of Touqan discourse in order to discover that the national & political discourse of Touqan is partially direct and some indirect, some of it foretells for sarcasm and bitter irony, especially what was in breach of the principles of Grace, as Deictics also did in the contexts of their uses.

لقد حاولت النظريّات النقدية الحديثة أنْ تَفيد من الاتجاهات اللسانيّة في تحليل النصوص أو الخطابات أدبية كانت أو غير أدبيّة، فأفادت من الشكليّة والبنيوية والتفكيكيّة والسيميائية. ومع أنّ التداوليّة نالت حظوة في التأويل، و"أنّ الاهتمام بالاتجاه الوظيفيّ بدأ يتزايد يوما بعد يوم، ويرسم حدودا واضحة على خريطة البحث اللسانيّ المعاصر"(١) إلا أنّها لم تخطُ خطوات عميقة في النقد بعامّة ولا النقد العربيّ بخاصّة، ومع هذا لا يُمكن تجاهلها؛ إذِ التداوليّة لا تقتصر على دراسة جانب محدد من اللغة أكان صوتيّا أم صرفيا أم نحويّا أم دلاليّا، بل تستوعبها جميعا و تتجاوزها، فقد أصبحت هي الأقدر على فهم كثير من النصوص والخطابات أدبية كانت أو غير أدبية باعتبارها أعمالا لغويّة ترتبط بمقامات، وتنجز في سياقات، وأنّه لا يمكن فصلها عن ظروف إنتاجها المتمثلة بالمرسل والمتلقي، والمقام، والجمهور،

---

(١) علوي، حافظ إسماعيلي: التداوليات علم استعمال اللغة ١.

والموضوع، والغرض، ...إلخ.

ومع أنّ بعضهم قد ذهب إلى أنّ النصّ الشعريّ متحرر من قيود السياق[٢]، وهذا يُشكّل عقبة في طريق تناول النصوص الأدبيّة من وجهة تداوليّة؛ إلا أنّ المعترض ذاته قد أشار إلى أنّ الشاعر مرغم على استعمال خياليّ لمقتضيات السياق من أجل خلق مقامات داخل قصيدته. ومن هنا لا بد من التمييز بين السياق المعطى وبين السياق المستنبط أو السياق الداخليّ، وأنّ الناقد الأدبيّ لا يستطيع أن يلغي وظيفة التواصل في الأدب، وإلا كان النصّ الشعريّ منغلقا على ذاته يحدثها[٣]؛ فالتداولية تهتم بدراسة العملية التواصلية بأبعادها النفسية والاجتماعية والإيديولوجيّة.

ولكن ما لا يمكن تجاهله، بعد فشل الاتجاهات الشكلانيّة والبنيوية، على سبيل المثال، لعنايتها بدراسة مكونات النص الشكليّة، أنّ التداوليّة تجاوزت هذه

---

(٢) خطابي، محمد: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب ٣٠٣

(٣) انظر: السابق ٣٠٣، وما بعدها من صفحات.

المكونات، إلى العناية بمحاور إنتاج النّص، أو الخطاب، فأولت عناصر الموقف الخطابيّ، وكلّ ما يؤثر فيه من سياق الحال أو المقام، وحال المتكلّم والمخاطب، وثقافة كلٍّ منهما، وعلاقة كلٍّ منهما بالآخر وبالخطاب، عنايةً كبيرة. فلا يتحقق التواصل بين المتكلّم والمخاطب، أو بين القارئ والكاتب بِنُطْقِ جُمَل وعِبارات أو قِراءَتها مَعزولة عن سياقاتها، بل باتت تنظر إلى الخطاب بأنّه يحمل في ثناياه قصدا تأثيريّا، تحدده تلك الظروف الإنتاجية له اجتماعيّة كانت أوسياسية أوثقافيّة وغيرها، إضافة إلى أنّها (أي التداوليّة) باتت "تُعنَى بدراسة اللغة على أساس التداول والتخاطب في الاستعمال، أي المعنى المتداول في الملفوظ بدلا من دراسة المعنى المجرد للمفردات داخل الجمل"(٤).

ويكمن الفرق بين المعنى من منظور التداولية والمعنى من منظور علم الدراسات الشكليّة والبنيويّة في أنّه في التداولية يحيل إلى قضايا استعمالية تتعلق

---

4) (Geoffrey.N. Leech: Principles of Pragmatics 5

بالمتكلم، بينما في الدراسات الشكلية والبنيويّة فإنه معنى مجرد عن مستعمل اللغة وعن سياقاتها الموقفية للجمل(٥)؛ فعبارة من مثل (صلِّ على النبيِّ) قد تحمل دلالات مختلفة باختلاف السياق الذي قيلت فيه، وهي تختلف عن دلالتها الحرفيّة التي تتمثّل في الطلب من المخاطب الصلاةَ على النبيّ صلى الله عليه وسلّم، فالمعنى من منظور تداوليّ يتحدّد من علاقة العلامات بالمتكلم من جهة، وبالسّياق المقاميّ من جهة أخرى، إضافة إلى جهة الاستعمال عند أبناء الجماعة اللغويّة الواحدة، فالاعتماد على البنية اللغويّة بمفردها لا يُحقق تواصلا تاما بين المتكلم والمخاطب، فقد يُقصَد من التّلفظ بتلك العبارة (صلِّ على النبيِّ) "تهدئة المخاطب الذي تملكه الغضب، أمّا إذا قيلت لشخص يثرثر بكلام لا فائدة فيه، أو لشخص يكذب، فإنّ مقصود المتكلّم من ذلك أنْ يكفَّ المخاطب عن الاستمرار في حديثه"(٦).

---

5) (Geoffrey.N. Leech: Principles of Pragmatics 6

(٦) الحسن، أحمد: الفائدة التخاطبيّة في نظريّة النحو العربيّ ٣٠

وقد تحمل بعض العبارات مدلولات معاكسة لمدلولها الحرفيّ من باب الغضب، ومن ذلك قول نزار قباني في قصيدته "بلقيس":

شكرا لكم ..

شكرا لكم..

فحبيبتي قتلت .. وصار بوسعكم

أنْ تشربوا كأسا على قبر الشّهيدة(٧)

فلا يُعقل أنْ يفرح الشاعر على موت حبيبته، ولا أن يشكر من قتلوها على فعلتهم. وإن بدا لنا أنَّ الشاعر قد خالف مبدأ التعاون الذي وضعه جرايس، إلا أن الشاعر باستعماله هذه الأسلوب يعبر عن حرقته وغضبه إضافة إلى توبيخه لكلّ من سبّب القتل لبلقيس، ولعلّ اختيار الشاعر لفظ "حبيبتي" يوحي بذلك وإنّها لتعدّ قرينة على عدم قصده المعنى الحرفيّ للشكر هنا. فالتداوليّة تحاول الإجابة عن إشكاليات متعدّدة، أهمها(٨):

---

(٧) قباني، نزار: قصيدة بلقيس ٥.

(٨) انظر: أرمينكو: المقاربة التداولية ٧، وإسماعيلي علوي، حافظ:

- ماذا نفعل عندما نتكلّم؟
- ماذا نقول تحديدا؟
- من المتكلّم؟ ومن المخاطَب؟
- ولماذا يتكلم المتكلّم على هذا النّحو؟
- كيف يمكن أن يخالف كلامُنا مقاصِدَنا؟

فالإجابة عن هذه الأسئلة يقتضي استحضار مجموعة من المعطيات لا تكون المقاربة التداوليّة إلا بها، منها:

- التركيز على مستعملي اللغة وسياقات الاستعمال.
- مراعاة ظروف استخدام اللغة كما يقررها سياق المجتمع.
- الاهتمام بمظاهر التأويل بحسب السياقات.
- تحليل مقامات الخطاب ومقاصده.
- دراسة معاني المنطوقات في علاقتها بالمتكلّم،
- دراسة الاستلزام الحواري، ومعرفة كيف يمكن أن يكون الاتّصال شيئا أوسع من مجرد القول.

التداوليات، علم استعمال اللغة ٢، ٣.

- دراسة العلاقة بين أفعال الكلام وسياقاتها غير اللغوية.
- دراسة العوامل التي تحكم اختيارنا للغة.

لذا فإنّه من الواجب النّظر إلى اللغة من مستويات ثلاثة: المستوى التركيبيّ، والمستوى الدّلاليّ، والمستوى التداوليّ، دون عزل أحدهما عن الآخر؛ إذ إنّ النّظر إلى المستوى التركيبيّ بمعزل عن المستويين الآخرين قد يولّد كلاما لا معنى له مع استقامته النّحويّة، وبالنّظر إلى المستوى الدلاليّ فقط، لا يمكن إنتاج خطاب مستقيم المعنى، دون النظر إلى اللغة في الاستعمال. فأيّ فائدة يُحققها الكلام، وكيف يحصل الفهم والإفهام بإبعاد الكلام عن ظروفه وظروف أطرافه؟!.

من هنا، يمكننا القول: "إنّ الدرس اللغويّ التداوليّ يدرس المنجز اللغويّ في إطار التواصل، وليس بمعزل عنه؛ لأنّ اللغة لا تؤدي وظائفها إلا فيه"(٩)، ولا

---

(٩) الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيّات الخطاب، مقاربة تداولية ٢٣.

يمكن أن يكون ذلك الاستعمال إلا ضمن سياق ما، به يُفهم الكلام، وبه يتحقق التواصل بين المتخاطبين، وبه تُعرَف مقاصد المتكلمين.

وهذا يدفعنا إلى القول بأنَّ المفردات والعبارات لا تحمل قيمة تواصليّة إلا بمعرفة الظروف المحيطة بكلٍّ منها، وزمان التخاطب ومكانه، إذ لا تتضح مقاصدها إلا بمعرفة سياقات الظروف الإنتاجية للخطاب. فكلما توفر للمتلقي معلومات عن المتكلم، والمتلقي للرسالة، والزمان والمكان، ونوع الرسالة، كانت له حظوظ قويّة لفهم الرسالة وتأويلها(١٠).

وقد اعتنت التداولية بدراسة الخطاب من جوانب متعدّدة، وفق عدد من المبادئ، منها:

أولا: الإشاريّات Deictics

وهي تضم أسماء الإشارة والأسماء الموصولة، والضمائر وظروف الزمان والمكان، وهي أسماء مبهمة، إذ لا يُتلفظ بها إلا في سياق تخاطبي، ولا يتحدد

---

(١٠) خطابي، محمد: لسانيات النّص، مدخل إلى انسجام الخطاب ٢٩٧.

مرجعها إلا في سياق الخطاب التداوليّ. بل إنَّ اللغة لا تلبي الأغراض التواصليّة لمستعمليها بفاعلية إلا بوجود الإشاريّات؛ إذ لا يمكن فهمها إلا بمعرفة من هو المتكلم، ومن المستمع، وزمان إنتاج الخطاب، ومكانه. ونقصر الحديث هنا، عن الإشاريات الثلاث: الشخصية (الأنا)، والزمانية (الآن)، والمكانيّة (الهنا).

- الإشاريات الشخصية:

ويقصد بها ضمائر المتكلم، والمخاطب، والغائب. وهذه العناصر الإشاريّة لا يتحدّد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداوليّ[١١]؛ فالضمائر تتنوع معانيها بتنوع المقامات، وقد أشارت "أوركيوني" (Orecchioni) إلى ذلك بقولها: "الضمائر هي تلك الوحدات اللغوية التي يستلزم عملها المرجعيّ – الدّلاليّ الاهتمامَ ببعض العناصر المكونة لحال الحديث بالإضافة إلى الدور الذي يؤديه فاعلو الخطاب والحالة

---

(١١) الشهري، عبد الهادي: استراتيجيات الخطاب ٨٠.

الزمانيّة والمكانيّة للمتكلّم والمتلقّي"[١٢].

وليس أدلّ على ذلك من استخدام الضمير "أنا" في قصيدة "الثلاثاء الحمراء"[١٣]:

الساعة الأولى

أنـــا ســـاعة الـــنّفس الفضل لـــي بالأســـبقيّهْ

أنا بِكر ســـاعاتٍ ثـــلاثٍ كلّهـــا رمـــز الحميّـــهْ

فلا يمكن للمتلقّي أنْ يُحدّد مرجع العنصر الإشاريّ (أنا) إلا في سياق الخطاب، فمرجع الضمائر الشخصية "يعتمِد اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم فيه[١٤]، بل إنّ العلامة اللغوية (أنا) في ذات القصيدة كانت تحيل إلى مرجع آخر:

الساعة الثانية

أنـــا ســـاعة الرجـــل أنـــا ســـاعة البـــأس

أنـــا ســـاعة المـــوت كـــلَّ ذي فعـــل مجيـــدِ

---

(١٢) حمو الحاج، ذهبية: لسانيات التلفظ وتداوليّة الخطاب ٩٧.

(١٣) طوقان، إبراهيم: ديوان إبراهيم طوقان ٢٢٧.

(١٤) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ١٨.

وكذلك في:

الساعة الأولى

أنـــا ســـاعة الرّجـــل أنا ساعة القلب الكبيـــرِ

فمعرفة سياق القصيدة الذي يشير إلى أنّ حكم الإعدام لثلاثة من أبطال فلسطين كان أوّلهم فؤاد حجازي، وثانيهم محمد جمجوم، وثالثهم عطا الزير، قد نُفِّذ في ثلاث ساعات متوالية، فمعرفة سياق القصيدة يزيل الإبهام عن العنصر الإشاريّ (أنا) في كل مقطوعة من المقاطع السابقة، فيزيل الافتراض والتخمين.

لذا كان من الأهميّة بمكان أنْ يُروى النصّ الشعري في محيطه الإنتاجيّ، لذا تجد القائم على إصدار الديوان قد أضاف حاشية يشير فيها إلى سياق إنتاج القصيدة، وقد فعل ذلك في قصائد أخرى.

- الإشاريات الزمانية:

وهي ألفاظ تدل على زمان ما يُحدّد وفق زمن التلفّظ الذي يُشكّل مرجعية في فهم الخطاب، وإلا التبس

المرجع الذي يُحال إليه بالنسبة للمتلقي، فكلمات من مثل: الآن، أمس، الأمس، اليوم، غدا، الغد، ...، لا يمكن التنبؤ بلحظتها وقتَ التلقّي إلا بمعرفة لحظة التلفظ، بل بمعرفة السياق التخاطبيّ بتمامه قد يفضي إلى أنّ المقصود بِـــ "الغد" يومٌ قد جاء وانتهى، بالقياس إلى زمن التلفظ والتلقي، وقد يكون هو اليوم التالي ليوم التلقي، وقد يكون المقصود المستقبل المفتوح. ومثلها "ساعة" في خطاب إعلانيّ قد تجده مكتوبا على باب أحد المتاجر: "سأعود بعد ساعة" ولم يتحدّد فيه زمن الخطاب؛ فإنّه لا يمكن للمتلقي أن يتنبّأ بزمن عودة صاحب المتجر، إلا إذا علمنا زمن الإعلان، فقد يكون زمن التلفظ قبل عشر دقائق أو ربع ساعة أو نصف ساعة، ومع أنّ ترك الإعلان غُفْلا من زمن التلفّظ يُحدث لبسا عند المتلقي، إلا أنّ هذا اللبس قد يكن مقصودا عند منتجي الإعلانات التجاريّة وغير التجاريّة، فيستثمرونه في "نقل المركز الإشاريّ إلى الإطار الزمانيّ المكانيّ الذي يطّلع فيه السامع أو القارئ على

النّص"[١٥].

ومثل هذا، ما تجده معلنا على أحد جدران المراكز الصحية لمنع ظاهرة التدخين، بقولهم: "التدخين مسموح كلّ يوم ما عدا اليوم" فَترَكُ الإعلان غُفلا من تاريخ زمن التلفظ، كان عن قصد. وليس من مهمة هذا البحث أن يتناول هذا الإعلان وما شابهه، بالدراسة التداولية المدمجة، فهذا مجاله بحث آخر.

وقد وردت بعض الإشاريّات الزمانية في بعض الأبيات الشعريّة عند طوقان خالية من تحديد زمن الخطاب، أو زمن التلفّظ:

(اليوم) تنكــره الليــالي وتظــل ترمقــه بعــين

وهذا اليوم وإن خلا من زمن التلفظ الذي قيلت فيه القصيدة إلا أنه يدل من خلال سياق القصيدة على أنّ المقصود به اليوم الذي أعدم به الثلاثة.

---

(١٥) براون ويول: تحليل الخطاب ٦٤.

(١٦) طوقان، إبراهيم: ديوان إبراهيم طوقان ٢٢٧.

بينما قوله في قصيدة مهد الشّقاء[١٧]:

مرّت علينا ست عشرة كنّ مجلبة التعاسة
فإلى متى يا ابن البلاد وأنت تؤخذ بالحماسة
وإلى متى (زعماء) قومك يخلبونك بالكياسة

فإنه قد وردت ثلاثة عناصر إشارية زمانية (ست عشرة، متى، متى) إلا أنها جميعا لا يمكن تحديد مرجعيتها إلا بمعرفة زمن التلفّظ.

- الإشاريّات المكانيّة:

وهي إشاريات تدل على مكان ما، يتحدد وفق مكان التلفظ وزمنه، مثل ظروف المكان هنا وهناك، وفوق وتحت وأمام وخلف، وأسماء الإشارة هذا وذلك إذا أشارتا إلى مكان، ويتحدّد تفسير استعمال الإشاريات المكانية على معرفة الظروف المحيطة بسياق التلفظ وقتئذٍ.

ومن الإشاريّات المكانيّة ما ورد عند طوقان في قصيدة

---

(١٧) طوقان، إبراهيم: الديوان ٣٠٥.

"فلسطين مهد الشقاء"[١٨]:

هـــذا يقـــال لـــه الـــزعيم كمـــا يُقـــال لـــذاك حـــرٌّ
وهنـــاك سمســـار الـــبلاد فإنّـــه الشـــهم الأغـــرٌّ

وإنّ استخدام الشاعر لتلك الإشاريات المكانية (ذاك، هناك) قد أخذت بعدا عاطفيا في الاستعمال، فقد استخدم الإشارة إلى القريب الذي يعيش معهم وبينهم بأداة إشارية تدل على البعيد (ذاك) و (هناك) (كما يُقال لذاك حرٌّ، وهناك سمسار البلاد فإنّه الشّهم الأغرّ)ـ فأضافت بعدا ساخرا، فمتى كان السمسار الذي يبيع وطنه شهما أغرّ؟!!!

ثانيا: نظرية أفعال الكلام:

تُعدّ نظرية أفعال الكلام أحد الأسس التي بُنيت عليها اللسانيات التداولية، فالتداولية،كما يشير فان ديك (Van Dijk)، تختص بوصفها عِلْما يُعنى بتحليل

---

(١٨) طوقان، إبراهيم: الديوان ٣٠٤.

الأفعال الكلامية (Speech Acts)، وبوظائف المنطوقات اللغويّة، وبسماتها في عمليات الاتّصال بوجه عام[١٩]. وهي، أي نظرية أفعال الكلام، نشأت في حض فلسفة اللغة على يد عدد من الفلاسفة، هم: أوستن (Austin)، ومن بعده: سيرل (Searle)، وجرايس (Grice)، إذ تمتدّ جذورها إلى الفلسفة البراجماتية لـــ"بيرس" (Peirce)، وإلى الفلسفة اللغوية لـــ"فتجنشتاين" (Wittgenstein)، إلا أنّ نظرية أفعال الكلام ترى للكلام قوّة فاعلة ذات تأثير في الواقع، وأنّ تلك الملفوظات لا تصف واقعا، ولا يمكن وصفها بالصدق أو الكذب؛ فجاءت ردّا على من قَصَروا مهمة

---

(١٩) انظر: الصبيحي، محمد الأخضر: مدخل إلى علم النّص، ومجالات تطبيقه ٤٩.

اللغة في أنها تصف واقعا أو تثبت واقعا بعينه[٢٠]، فيمكن الحكم عليها بالصدق إن طابقت الواقع، وبالكذب لمخالفتها إيّاه.

هذا وإن كانت بعض الأفكار التي تناولها "أوستن" مسبوقا بها، فمهدت له الطريق في وضع نظريته كأفكار "ريناتش" () و "غاردنر" (Gardiner)، إلّا أنّه "لا يمكننا أن نؤرّخ فعليا لبدايات التداولية كما نعرفها اليوم إلا باكتشاف الفيلسوف البريطانيّ "أوستن" لظاهرة الأعمال اللغويّة،"[٢١].

وتتأسس فكرة النظريّة بالانطلاق من "أنّ الوحدة الصغرى للاتصال الإنسانيّ ليست الجملة ولا أيّة عبارة

---

(٢٠) انظر: أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات ١٣.

(٢١) ريبول، آن: نظرية الأعمال اللغويّة، القاموس التداولي ٤٦.

أخرى، بل هي إنجاز بعض من أنماط الأفعال[٢٢]، وعليه يُعرِّف بعضهم الفعل الكلاميّ بأنّه "كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكليّ دلاليّ إنجازيّ تأثيريّ"[٢٣]؛ فالفعل الكلاميّ هنا لا يقصد منه الفعل النحويّ الذي يدل على حدث ما، بل المقصود بأنّه حينما نتحدث فإنّنا ننجز شيئا ما، غير فعل التكلّم، فاللغة لم تَعُدْ نَسَقًا شَكليًا، وذات وظيفة إخبارية فقط هدفها نقل المعلومة أو وصف الواقع، بل تَرتَبِط بِظروف سِياقِيّة إنتاجيّة، إضافة إلى أنّها ذات وظيفة تأثيرية في الغير. بناء عليه فإنّ الفعل الكلاميّ أصبح يمثل وحدةً للتبليغ، وهو فعل إنجازيّ، و"يجب أنْ يُنظر إلى الإنجاز بوصفه جانبا قصديا لفعل

---

(٢٢) فاخوري، عادل: نظرية أفعال الكلام، ضمن: الموسوعة الفلسفية العربية ٢/ ١٣٣٠

(٢٣) صحراوي، مسعود: التداولية عند العلماء العرب ٥٤.

كلاميّ في سياق الموقف الكليّ البراجماتيّ- التواصليّ، الذي يتضمن فيه كلّ فعل كلاميّ العلاقات الخارجيّة والدّاخليّة أيضا بين المتكلّمين والسّامعين"(٢٤)، وتعطى هذه الأفعال الإنجازية غالبا أوصافا محدّدة كالاعتذار والشكوى والإطراء والوعد، والدعوة والطلب، وتنطبق هذه المصطلحات الوصفية لأنواع الأفعال الكلامية على نية (قصد) المتكلّم التواصلية في إنشاء اللفظ، وتتحدّد هذه الأوصاف عند المتلقي بالاعتماد على الظروف المحيطة التي أُنجِزَ فيها الكلام(٢٥)، فجملة من مثل: "أعددت القهوة"، قد تكون جملة خبريّة تفيد أنه انتهى من إعداد القهوة؛ أو جيء بها ليفصح المتكلّم عن انتهائه من إعداد القهوة التي كانت بناء على طلب من أحدهم، أو

---

(٢٤) واورزنياك، زتسيسلاف: مدخل إلى علم لغة النّص، ص ٢٢

(٢٥) يول، جورج: التداولية ٨٢

قد تكون بمثابة تقديم دعوة للمخاطب بشرب فنجان من "القهوة" مع المتكلّم.

يمكن الإشارة باختصار إلى أنّ أوستن في كتابه: "نظرية أفعال الكلام: كيف تنجز الأشياء بالكلمات" أشار إلى وجود عدد من الملفوظات لا يمكن وصفها بالصدق أو الكذب، إذ هي لا تصف واقعا خارجيّا، إلا أنّها تؤدي وظيفة، رغم تشابهها مع العبارات الوصفية(٢٦)، فإذا بُشّرت بمولود، وطُلب منك تسميَته؛ فقلت أسميه "محمّدا"، أو قال رجل لزوجته: "أنت طالق"، فإنّ مثل هذه الملفوظات ونحوها لا تحتمل الصدق أو الكذب، كما لا تصِف واقعا، وإنّه بمجرد نطقك إياها فإنك تكون قد أنجزت فِعلا، فأنت بقولك:

---

(٢٦) انظر: نحلة، محمود أحمد: نحو نظريّة عربيّة للأفعال الكلاميّة ١٦١، و: نحلة، محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر ٦٠.

"أسميه محمدا" أنجزت "التسمية"، وهو بقوله لزوجته: "أنت طالق"، يكون قد وقع الطلاق.

فمثل هذه الملفوظات تُسمّى "ملفوظات إنجازيّة" أو "أفعال أدائيّة"، وإنّ الأفعال الأدائيّة لا يمكن أن تتحقق إلا بشروط أطلق عليها أوستن شروط الملاءمة (felicity conditions) (٢٧). إلا أنه عاود السؤال: كيف ننجز فعلا حين ننطق قولا؟ بعدما اكتشف أنّ شروط الأفعال الأدائية لا تفي بالغرض في التفرقة بين الملفوظات الوصفية والملفوظات الإنجازيّة، بخاصة أنّ بعضا من الأفعال غير الأدائية تنطبق عليها شروط الأفعال الأدائيّة، إلى أن توصّل أنّ الفعل الكلاميّ المنطوق يُنتِجُ ثلاثة أفعال في آن واحد:

---

(٢٧) انظر : أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام ٢٧، وما بعدها.

- الفعل اللّفظيّ:[Locutionary Act]

يحتوي فعلا صوتيا بمجرد التلفظ بالعبارة ، وفعلا تركيبيّا، وفعلا دلاليا يمثّل معنى حرفيّا للتركيب، ومرجعا له(٢٨)، وجميع هذه الأفعال تنجز في وقت واحد.

- الفعل الإنجازيّ: [Illocutionary Act]

وهو العمل الّذي يتحقّق بقولنا شيئا ما في الاستعمال(٢٩)، ويقصد أوستن بعبارته هذه ما ينوي تحقيقه المتكلّم عندما ينطق جملة مفيدة، كالأمر، أو النهي، أو النصيحة، أو التأنيب،.....

- الفعل التّأثيريّ / لازم فعل الكلام:[Perlocutionary]

---

(٢٨) انظر: أوستن: مرجع سابق ١١٥

(٢٩)أوستن: مرجع سابق ١٢٠

وهو الأثر الــذي يحدثــه الــتلفّظ بالسّــامع أو المخاطب، سواء أكان الأثر جسديا أم فكريا أم شعوريّا.

وليتّضح ذلك فإننا نسوق المثال الآتي:

فحينما تكون برفقة صديق لك تتجوّلان بالقرب من منطقة حدوديّة، قد تتفاجأ بأنّ صديقك يوجّــه لــك كلاما قائلا لك: "منطقة ألغام"، فإنّه (أي صديقك المتكلّم) ينجز عملا قوليّا، يتمثل في نطقه بجملة "منطقة ألغــام"، وينجز عملا متضمّنا هو تحذير المخاطب من الاقتراب أكثر من المنطقة الحدودية المزروعة بالألغام. أمّــا مــا تحدثه تلك العبارة من أثر فيك كالابتعــاد عــن منطقــة الألغام أو تغيير الاتجاه، فهو ما يُسمى "فعلا تأثيريّا".

فالتمييز بين الفعل الإنجازيّ والفعل التــأثيريّ يكمن في أنّ المتكلّم حينما ينطق قولا ما فإنّه ينجز خبرا

أو وعدا أو تهديدا أو تحذيرا ....، بينما يكون "فعلا تأثيريا" إذا كان قوله أثار المخاطب كأن يكون القول أزعجه، أو أفرحه، أو أحزنه، أو أقنعه، أو سلك سلوكا خاصا نتيجة القول، كالهرب، مثلا.

ومع ما بذله أوستن من جهد في دراسة أفعال الكلام إلا أنه تعرض للنقد(٣٠)، ومن ذلك: أنّ تصنيفه للأفعال الكلاميّة إلى: أفعال الأحكام، وأفعل القرارات، وأفعال التعهد، وأفعال السلوك، وأفعال الإيضاح، لم تكن وفق معايير واضحة، إذ حصل تداخل بينها، إضافة إلى أنّه "خلط بين مفهوم الفعل قِسْمًا من أقسام الكلام، والفعل حدثا اتّصاليّا"(٣١). وهذا ما دعا "سيرل"، وهو تلميذ

---

(٣٠)انظر ما تعرضت له نظرية أفعال الكلام عند أوستن في: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ٢٢١ – ٢٢٤

(٣١) نحلة، محمود: نحو نظرية عربية للأفعال الكلاميّة ١٦٩.

"أوستن"، إلى النّظر في نظريّة أفعال الكلام، وتطويرها(٣٢)، حيث أعاد تصنيف الفعل الإنجازيّ؛ فقسّمها إلى أفعال إنجازية مباشرة وأخرى غير مباشرة.

الأفعال الإنجازيّة المباشرة:

وهي الأفعال التي تطابق قوتها الإنجازيّة مقصد المتكلم، وهو أنّ ما نقوله ينطبق تماما مع ما نقصده. حيث إنّ هذه المرحلة تمثّل تعديلا للأفعال الكلاميّة التي وضعها "أوستن"، فأصبحت أربعة أفعال هي(٣٣):

– فعل القول [Utterance act]: ويتمثل في نطق الكلمات والأصوات ضمن القواعد الصوتيّة والتركيبيّة للغة.

---

(٣٢) انظر: روبول، وموشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل ٣٣

(٣٣) Searle, J.R: Speech Acts 24-25

- الفعـــل القضـــويّ [propositional act]: ويتمثّل في الإحالة [المرجـــع] Reference والإســـناد Predication[٣٤] اللّذين يشكلان معا قضيّة، وهو يمثل الفعل الدلاليّ من الفعل القوليّ عند أوستن، فمثلا قـــول طوقان[٣٥]:

وانهـــــضْ ولا تشـــــكُ فما شـــكا إلا الكســـولُ

أحال الشاعر فيه على المخاطب "الأنـــت" فـــي "انهضْ" بصيغة الأمر، وعلى المخاطب "الأنت" أيضـــا في أسلوب النهي "ولا تشكُ" بصيغة الفعل المضـــارع، وبضمير الغائب في الفعل الماضي "شكا" العائـــد علـــى "الزّمان". ورغم أنّ "الكسول" لا تمثّل إحالة على معيّن، إلا أنّ الإحالات الواردة في البيت عَقَدتْ الصلة بينهـــا؛

---

(٣٤) Searle, J.R: Speech Acts 24

(٣٥) طوقان، إبراهيم: الديوان ٢٨٦، من قصيدة "تفاؤل وأمل".

فجعلت "الكسول" محيلا إلـــى الشـــخص الـــذي يشـــكو الزمان، دون محاولة منه تغيير الواقع.

أما الفعل الإسناديّ فيتمثل في إسناد الكسل لكلّ من يشكو الزمن، وأننا نحمل المخاطب على التخلص من الشكوى والنهوض في استرجاع البلاد والدفاع عن مقدّساتها وأرضها المحتلّة.

أمّا الفعلان الإنجازيّ والتأثيريّ، فأبقاهما كمـــا أشار إليهما (أوستن)، وقد" شكّ في وجود أعمال تـــأثير بالقول، ولم يحفل بحقّ، على سبيل المثـــال، بالأعمـــال القوليّة"(٣٦).

الأفعال الإنجازيّة غير المباشرة:

وفيها يكون المعنى الحرفيّ للمنطوق غير معبّـــر

---

(٣٦) روبول، وموشلار: التداولية اليوم ٣٣

عن مقصد المتكلّم، فـ "إذا ما تمّ القيام بفعل ما داخل في القول بواسطة فعل آخر داخل في القول، فالفعل الأوّل يُسمّى فعلا كلاميّا غير مباشر"(٣٧)، فالأفعال الكلاميّة غير المباشرة تقوم على طرح مشكلة مفادها: كيف للمتكلّم أن يقول شيئا ما، ويعنيه، وهو يريد شيئا آخر، وكيف يمكن للمخاطب أن يفهم الفعل غير المباشر، مع أنّ ما يسمعه يدلّ على شيء آخر. ولهذا يفترض "سيرل" أنّ المتكلم يستطيع إبلاغ المخاطَب أكثر مما تعنيه الكلمات، باستناده إلى معلومات سابقة مشتركة بين المتكلم والمخاطب، سواء أكانت معلومات لغويّة أم غير لغويّة، من مثل: الرتبة والنبر والتنغيم، وزمَنيّة الفعل،

(٣٧)فاخوري، عادل: نظرية الأفعال الكلاميّة ١٣٤٠.

وعلامات الترقيم[٣٨]، إضافة إلى قدرة المخاطب على إقامة الاستدلالات من أجل الوصول إلى مقصد المتكلّم، ففي الحوار الآتي:

– محمّد: ألا تشرب معي فنجانا من القهوة.

– خالد: عليّ أنْ أنام مبكرا.

فما قاله محمد يمثّل عرضا صريحا لخالد بأن يتناول معه فنجانا من القهوة، ويمثّل قول خالد رفضا للعرض، ولكن بصورة غير مباشرة، وإنّما بصورة استدلاليّة، فالقهوة معروف عنها أنّها تسبب قلقا في النوم، وعليه فإنّ خالدا يرفض شرب القهوة لرغبته بالنوم مبكّرا. ولو أجاب خالد إجابة أخرى من مثل:

– سوف آكل قطعة من الشوكولا.

---

(٣٨) Searle, J.R: Speech Acts 30

لَربما فُهم منها، أنّه يرغب بتناول القهوة إضافة لقطعة من الشوكولا، أمّا كيف فُهم من إجابة خالد الأولى الرفض، فيمكن توضيحه بالمراحل الآتية:

مرحلة (١): قدّم محمد عرضا لخالد بشرب القهوة، وكان جوابه: أنّه يرغب بالنوم مبكّرا.

مرحلة (٢): بحسب مبدأ التعاون لجرايس، فإنّه يفترض أنّ خالد كان متعاونا في محادثته مع محمّد.

مرحلة (٣): الجواب الملائم قد يكون قبولا أو رفضا، أو تقديم اقتراح آخر كشرب الشاي مثلا.

مرحلة (٤): عبارته بمعناها الحرفيّ لا تشير إلى القبول أو الرفض، فهي لا تشكل إذن جوابا ملائما.

مرحلة (٥): يبدو أنّه يقصد أكثر مما يقول بحسب نظرية أفعال الكلام غير المباشرة. [استدلال من

المرحلتين ٢، ٤].

مرحلة (٦): من المعروف أنّ شرب القهوة في وقت متأخر يسبب قلقا في النوم، وهو يرغب بالنوم مبكرا.

مرحلة (٧): يستحيل شرب القهوة، مع الرغبة في النوم مبكرا.

مرحلة (٨): أحد الشروط الخاصة بالقبول بعرض ما هو إمكانية القيام بالفعل المسند في شرط محتوى القضيّة (نظرية أفعال الكلام).

مرحلة (٩): أعرف أنه قال شيئا يستلزم على الأرجح عدم قبوله بالعرض المطروح (استدلال من المراحل ١، ٧، ٨).

مرحلة (١٠): إذن غرضه الأوّليّ هو على

الأرجح رفض العرض. (استدلال من المرحلتين ٥، ٩).

ولتّضح نظرة (سيرل) لأفعال الكلام غير المباشرة، وأنّ المتكلّم يقصد أكثر مما يقول، نمثّل بقول طوقان[٣٩]:

وطن يباع ويُشترى وتصيح: "فليحيَ
لو كنت تبغي خيره لبذلت من دمك الثمنْ
ولقمت تضمّد جرحه لو كنت من أهل

تجدر الإشارة إلى أنّ الأبيات السابقة المقتطعة من قصيدة "تفاؤل وأمَل"، يمكن تصنيفها من ضمن "التوجيهيّات" (Direcives)، فهو يوجّهها إلى كل من تقاعس من الفلسطينيين في الدفاع عن أرضه المغتصبة، فهو أي الشاعر يحاول إثارتهم في الدفاع عن فلسطين،

---

(٣٩) طوقان، إبراهيم: الديوان ٢٨٨، من قصيدة "تفاؤل وأمل".

والتخلي عن التنادي بالشعارات (فليحيَ الوطن)، التي لا تجلب للوطن أي منفعة. فالشاعر يستنهض همّة المخاطَب عن طريق الإشارة إليه بضمير خطاب صريح (لو كنت)، نافيا عنه إرادة الخير للوطن إنْ بقيَ على ما هو عليه من عدم بذل دمه في الدفاع عنه، وتضميد جراحه.

كما يحاول التأثير على المخاطب في الدفاع عن أرضه من استخدام فعل الأمر بصورة إلزاميّة عنيفة تفيد التحقير، والتقليل من شأن مخاطبه، فيقول:

اقعدْ فما أنت الذي يسعى إلى إنهاضها

طالبا منه أنْ يتأمل عدوّه وهو يعتدي على أرضه، ويستولي على خيراتها:

وانظر بعينيك الذئاب تَعُبُّ في أحواضها

هل لأفعال الكلام أهمية في التحليل الأدبيّ؟

مع أنّ "منطلق جلّ أصحاب نظريّة الأعمال اللغويّة فلسفيّ لغويّ لا يُعنى بالنحو إلا في حدود ما يسمح به الإرث المنطقيّ الذي ينطلقون منه، والأهداف الفلسفيّة التي لأجلها نظروا في اللغة واستعمالاتها"(٤٠)، إلا أنّ النقاد حاولوا الاستفادة من نظرية أفعال الكلام، فدرسوا الأثر الذي تحدثه اللغة من أفعال، كدراستهم للأقوال، فعدوا المنطوق الأدبيّ مماثلا الإنجازيّ، فهو لا يكتفي بالإشارة إلى ما كانت عليه الأمور، بل يخلق حالة لأموره وشؤونه التي يسير عليها، فهو يُحدث أو يوجِد الشخصيّات أو أفعالها، كما يوجِد الأفكار والمفاهيم التي ينشرها(٤١). وقد أشار "دومينيك مانقينو" (Dominique Maingueneau) في حديثه عن الخيال وأفعال الكلام بقوله: "إنّ العلاقة بين أفعال الكلام والأدب لا تتوقف

---

(٤٠) المبخوت، شكري: دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات، ص ٨.

(٤١) انظر: كولر، جونثان: مدخل إلى النظرية الأدبية، ص ١٣٥.

عند اعتبار ما قدّمته التداوليّة في مجال التفكير حول اللغة، بل هي تدفع إلى تمييز خصوصيّة الملفوظات الأدبيّة باعتبارها أفعال كلام، .... فالأدب مكوّن من أعمال لا ألفاظ معزولة"(٤٢). لذا يمكن القول إنّ للشعر إنجازيّة تتمثّل في إقناع الآخر بوجهة نظر ما، أو التّأثير عليه ليقوم بفعل ما، وليس أدلّ على ذلك ما كان لشعر حسان بن ثابت من تأثير، **ومن ذلك، أيضا، تصوير إبراهيم طوقان مصرع الشهداء (محمد جمجوم، وعطا الزير فؤاد حجازي) في قصيدته الثلاثاء الحمراء، فألقاها في حفل مدرسة النجاح السنوية في نابلس، ولم يكن قد مضى وقتئذ أكثر من عشرة أيام على حادثة إعدامهم، فذهل عنه الجمهور، وكأنما خرج من لحمه ودمه، فما أنِ انتهى حتى كان بكاء الناس يعلو نشيجه، ثم تدفقوا خارج القاعة في حالة هياج عظيم حتى لقد قال بعضهم يومئذ: " لو أنّ إبراهيم ألقى قصيدته في بلد فيه يهود، لوقع ما لا يحمد عقباه" يشير بذلك إلى**

---

(٤٢) مانقينو، دومينيك: تداولية الخطاب الأدبي ٨٢.

فرط الحماس الذي أثارته هذه القصيدة عند أولئك السامعين(٤٣).

ولعلّ المتأمّل لغة القصيدة يجدها سهلة، لكنّها ممتلئة بالعواطف، وتصف الواقع المرير الذي تعيشه فلسطين، من خلال وصفها واقعة الإعدام، وكيف تقدّم الشهداء الثلاثة إلى حبل المشنقة، بل صور لنا كيف حطّم محمد جمجوم القيد، لا ليهرب من الموت، بل ليزاحم عطا الزير، الذي كان من المقرر أن يكون قبله في الإعدام، ففاز جمجوم بأن كان قبله. فلذا نجد أنّ هذه القصيدة أثّرت في السامعين لها، وأنجزت فعلا كلاميا مباشرا في تحريك مشاعرهم حتى سببت لهم هياجا.

وقد قام (سيرل) بتصنيف الأفعال الإنجازيّة كما فعل أستاذه (أوستن) مع إجراء بعض التعديلات عليها، وهي: الإخباريّات Assertives، والتوجيهيّات Directives، والالتزاميّات Commissives ،

---

(٤٣) طوقان، إبراهيم: الديوان، ص ٣٨ – ٣٩.

والتعبيريّات Expressives، والإعلانيّات Declarations[٤٤].

وسأكتفي، هنا، بعرض الأفعال الإنجازية غير المباشرة المتحوّلة عن الإخباريّات، فالجمل الخبريّة قد تؤدي معاني أخرى يعبر فيها المتكلمون عن معانٍ أخرى ضمنيّة غير المعنى الحرفيّ، إذ إنّ الفكرة الأساسيّة التي تقوم عليها الأفعال الكلامية غير المباشرة، هو معرفة كيف يقول المتكلّم شيئا ما، وهو

(٤٤) التوجيهيات كالأمانيّ والطلبات، والإرشادات والنّصائح، والالتزاميّات كالوعود والتعهدات والتهديدات، والتعبيريات كالشكر والتهنئة والاعتذار والتعزية، والإعلانيات كالإهداء وعقد الزواج والتعيين وإعلان الحرب والنتائج. فالإخباريات عرض لحالة أو واقعة ما، والتوجيهيات يريد المتكلم أن يحيل السامع على فعل عمل ما، ومع الالتزاميات يلزم المتكلم نفسه، أو يتعهد بفعل في المستقبل، ومع التعبيريات يعبر المتكلم عن موقفه النفسيّ من حال الواقع المتضمنة من المحتوى القضويّ، ومع الإعلانيات إنشاء اتفاق بين المحتوى القضويّ والواقع والعالم الخارجيّ.

يَعي ذلك ويعنيه، وهو في حقيقة الأمر يريد قول شـــيء آخر، ومن تلك المعاني الظاهرة عند طوقان اســـتخدام الخبر في التعبير عن السخريّة المريرة، كقوله(٤٥):

أنـــــتم (المخلصـــــون) أنتم الحـــاملون عـــبء
أنتم العاملون من غيـــر بارك الله فـــي الزنـــود

بل إنّ الجملة الخبريّة (بارك الله فـــي الزنـــود القويّة) التي اتخذت معنى الدعاء؛ فإنّ قوّتها الإنجازيّـــة اتخذت بعدا تهكميّا ساخرا من زعماء فلسطين المشـــار إليهم بالضمير (أنتم).

وإنّ جملة:

"أنتم المخلصون للوطنية"

يمكن أنْ تكون خبريّة تؤوّل بمعناها الحرفـــيّ، أيْ أنّه يصفهم بالإخلاص، وإنَّ الإخبار بـــها أو التلفّظ

---

(٤٥) طوقان، إبراهيم: الديوان، ص ٣٣٩

تحمل دلالات، منها:

-أنتم من وصل إلى أعلى درجات الإخلاص للوطن.

-أنتم المخلصون وغيركم غير مخلص.

وقد تكون جملة استفهامية، يُقصد منها النفيّ، الذي يستدعي الإنكار والدهشة من هذا الوصف، أو يستدعي استثارة لتقديم حجج على ما يُعمّق الفكرة أو ينقضها، وهذا هو مراد الشاعر بدليل ما قدمه من حجج تبرهن عل عدم إخلاصهم وحملهم لأعباء القضية الفلسطينية:

(وبيان) منكم يُعادل بمعدّات زحفه
(واجتماع) منكم يردّ غابر المجد من فتوح

فالمبالغة في الأمر وتهويل تأثيره ليدل، هنا، دلالة قاطعة على نفيه، مما يُشكّل سخرية مريرة

تدعونا إلى التفكّر في ما سيقوله الشاعر بعد ذلك:

ما جحدنا (أفضالكم)، لم تزل في نفوسنا
في يدينا بقيّة من بلاد فاستريحوا كيلا

ففعل الأمر (استريحوا) الذي استعمله الشاعر في قوله: "فاستريحوا كيلا تطير البقيّة" ليعبر عن قوّة إنجازية يُقصد منها الإهانة لهؤلاء الذي تقاعسوا عن المحافظة على بلادهم، بل بل إنّ العبارة لتوحي أنّ هؤلاء الزعماء هم من كانوا يعملون من أجل التفريط في الوطن، وكانوا سماسرة لبيع الأرض.

إنّ تلك الكلمة (استريحوا) لتذكرنا ببيت الهجاء المشهور:

دع المكارم لا ترحل واقعد فإنك أنت

إذِ إنّ التناص أو التعالق بينهما تمنح للشاعر

سلطة آمرة مُهينة لهؤلاء الزعماء، يستمدها من ذلك الخطاب.

٣. الحجاج.

إنّ "نظرية الحِجاج" انبثقت من رحم نظرية أفعال الكلام، التي أشرتُ إليها آنِفا، إذ قام "ديكرو" (Ducrot) بتطوير أفكار وآراء "أوستن"، واقترح إضافة فعلين لغويين، هما: فعل الاقتضاء، وفعل الحجاج(٤٦)، فـ"الحجاج تقديم الحجج والأدلة المؤديّة إلى نتيجة معينة، وهو يتمثّل في إنجاز تسلسلات إنتاجيّة داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثّل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تستنتج منها"(٤٧) .

فالحجاج مؤسس على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب، ولتوضيح ذلك

---

(٤٦) العزاوي، أبو بكر: الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته ٥٨

(٤٧) المرجع السابق ٥٨.

نسوق قول طوقان[٤٨]:

بطلـــي يحطـــم قيـــدهُ رمزا لتحطـــيم القيـــودِ
زاحمت مَـــن قَبْلـــي لأســـبقَها إلـــى شـــرف الخلـــودِ

إذا نظرت إلى البيت السابق وجدت أن البطل يكسر القيد ويحطمه، لا ليهرب، بل ليصبح رمزا للتحدّي ومواجهة الصعاب، وأصبحت الحجة ذات عنصر دلاليّ يقدّمه من أجل عنصر دلاليّ آخر، يكون بمثابة حجة أخرى (مزاحمة من كان إعدامه مقرّرا قبله) نتيجتها (أسبقيته في نيل الشهادة). فالبيت الشعريّ يتضمّن حججا مرتبة تمثل سلّما حجاجيّا، كلّها تنبئ عن نتيجة مضمرة في حصوله على أسبقيّة الشهادة، يُصدّقها الواقع في حصوله عليها.

- البطل (محمد جمجوم) حطم القيد ليصبح رمزا لتحطيم القيود
- البطل حطم القيد ليزاحم (عطا الزير) على حبل المشنقة.

---

(٤٨) طوقان، إبراهيم: الديوان من قصيدة الثلاثاء الحمراء ٢٨٢، ٢٨٣.

- البطل حطم القيد لينال الشهادة قبل (عطا الزير).

وقد استعان الشاعر بحجج مبتذلة على ألسنة الناس، تكاد تكون أشبه بالحكمة ، في بعض الأحيان، ليوظّفها في دعم خطابه، وليرفع من قيمة سلمه الحجاجيّ، من ذلك ما قاله في قصيدة "تفاؤل وأمل"(٤٩):

كفكف دموعك، ليس ـــــفَعُك البكـــاء ولا
وانهـــض ولا تشـــك نَ فمـــا شـــكا إلا
واســـــلك بهمتـــــك ـــــل ولا تقـــل كيـــف
ما ضلّ ذو أمـــل ســـعى يوما وحكمتـــه الـــدّليل
كـــلا، ولا خـــاب امـــرؤ يوما ومقصـــده نبيـــل

وتجدر الإشارة إلى أبرز النتائج التي توصـــلت إليها الدراسة، ومن أهمّها:

أوّلا: إنّ المنهج التـــداوليّ يـــدرس النصـــوص الأدبية بوصفها خطاباتٍ تواصليّة، وتكشف الدراســـة أنّ "طوقان" على دراية بقواعد التخاطب.

---

(٤٩) طوقان، إبراهيم: الديوان ٢٨٦، ٢٨٧.

ثانيا: إنّ الشعر الوطنيّ عند إبـــراهيم طوقـــان يحتوي على جملة من الأقوال التأثيريّة، كـــان يســـعى الشاعر إلى استعمالها من أجل التأثير في جمهوره.

ثالثا: إنّ عددا لا باس به مـــن القـــولات عنـــد طوقان كانت تحمل قيما حجاجية من أجل تدعيم الفكـــرة التي يطرحها، وعـــددا، لا بـــأس بـــه، مـــن القـــولات الإخباريّة، لم تكن تحمل دلالات حرفيّة، بل كان الشاعر ينقلها إلى مجال تواصلي يثير السخريّة، التي قد تـــؤدي وظيفة إقناعيّة.

المصادر والمراجع

١. أرمينكو، فرانسواز: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، ١٩٨٦م.

٢. إسماعيلي علوي، حافظ: التداوليّات، علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ٢٠١١م.

٣. أوستن. ج: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة عبد

القادر قينيني، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٢م.

٤. براون، ج.ب، و يول، ج: تحليل الخطاب، ترجمة محمد الزليطي، ومحمد التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م.

٥. بوقرة، نعمان: المدارس اللسانية المعاصرة، متبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٦. الحسن، أحمد: الفائدة التخاطبية في نظريّة النحو العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد، ٢٠٠٩م.

٧. حمو الحاج، ذهبية: لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، دار الأمل للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٥م.

٨. خطابي، محمد: لسانيات النص، مدخل إلى

انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٦م.

٩. روبول. آن، و موشلار. جاك: التداوليّة اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ١٩٩٨م.

١٠. روبول، أن: نظرية الأعمال اللغويّة، ترجمة شكري المبخوت، ضمن: القاموس الموسوعيّ للتداولية، لآن ريبول، وجاك موشلار، ترجمة مجموعة من الأساتذة بإشراف عز الدين المجدوب، ومراجعة خالد ميلاد، منشورات دار سيناترا، المركز الوطنيّ للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.

١١. الشهري، عبد الادي بن ظافر: استراتيجيّات الخطاب، مقاربة تداوليّة، دار

الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م.

١٢. الصبيحيّ، محمد الأخضر: مدخل إلى علم النّص، ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م.

١٣. صحراوي، مسعود: التداوليّة عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللسانيّ العربيّ، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

١٤. طوقان، إبراهيم: ديوان إبراهيم طوقان، دار العودة، بيروت، ١٩٩٧م.

١٥. عبد الحقّ، صلاح إسماعيل: التحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

١٦. العزاوي، أبو بكر: الحجاج في اللغة،

ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ٢٠١٠م.

١٧. فاخوري، عادل: نظرية الأفعال الكلاميّة، ضمن: الموسوعة الفلسفيّة العربيّة، المدارس والمذاهب والاتجاهات والتيارات، رئيس التحرير معن زيادة، معهد الإنماء العربي، ط١، ١٩٨٨م.

١٨. قباني، نزار: قصيدة بلقيس، منشورات نزار قباني، بيروت، ط٤، ٢٠٠١م.

١٩. كولر، جونثان: مدخل إلى النظرية الأدبيّة، ترجمة مصطفى بيومي عبد السلام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٢٠. مانقينو، دومينيك: تداوليّة الخطاب الأدبيّ، دراسة وترجمة منى بدري، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة الجزائر، الجزائر، ٢٠٠٨م.

٢١. المبخوت، شكري: دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٠م.

٢٢. نحلة، محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٣. نحلة، محمود أحمد: نحو نظرية عربية للأفعال الكلاميّة، مجلة الدراسات اللغويّة، مركز الملك فيصل، الرياض، المجلد الأول، العدد الأول، إبريل/ يونيو، ١٩٩٩م.

٢٤. واورزنياك، زتسيسلاف: مدخل إلى علم لغة النصّ، مشلات بناء النصّ، ترجمه وعلق عليه سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣م.

٢٥. يول، جورج: التداوليّة، ترجمة قصي العتّابيّ، الدار العربية ناشرون، بيروت، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠١٠م.

٢٦. Geffrey.n.Leech: principles of pragmatics, longman, 1983.

٢٧. Searle, j.r: Speech Acts: An Essy in the philosophy of language, Cambridge University Press, , Cambridge, 1969.